بولس إن اعترف

(١ تم ١: ١٢-١٧)

الأب ميلاد الجاويش ب.م.

باحث في الكتاب المقدس

بولس، وأمثاله من بعده، إن كتبوا فلا يكتبون إلاّ ذاتهم. وكلماتهم لا يستعيرونها من خزائن الأدب المغبّرة بل من ماضيهم الحيّ، من لحمهم ودمهم. هم لا يَصفّون التعابير الواحد تلو الآخر اعتباطًا أو سعيًا وراء بلاغة، بل بعنايةٍ فائقة ووعي تامّ، لأنّ ما يُكتب إنّما هو شخصهم وحياتهم وخبرتهم. إذا كان هذا القول يصحّ في مطوّلات بولس اللاّهوتيّة، كالتي في رسالة روما، أو في مجادلاته العنيفة، كالتي في غلاطية، أو في توجيهاته الكنسيّة، كالتي في كورنثس الأولى، فكم بالحريّ يصحّ في وقفاته الوجدانيّة التي فيها يقف لينظر إلى الوراء ويقرأ ماضيه، ليس ماضيه "الجسديّ" المادّي والتاريخيّ، بل ذلك "الروحيّ" الذي من صنع الله.

في الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، قلّما يقف بولس وقفات وجدانيّة كتلك التي في ١: ١٢-١٧؛ فبينما تكثر مثل هذه الاعترافات في الرسالة الثانية إلى تيموثاوس[1]، لا يقع قارئ أختها الأولى على نصوص "اعترافيّة"، على النحو الأوغسطينيّ، إلاّ هنا، وذلك لأنّ نصوصها في أغلبها هي ذات نكهة توجيهيّة وتنظيميّة تطال شرائح مختلفة من الكنيسة: الأساقفة، والشيوخ، والشمامسة، والنساء، والأرامل والعبيد. بين هذه النصوص التي تكثر فيها الأفعال بصيغة الأمر، يأتي نصّنا كواحة يستظلّ القارئ تحت فيئها، ويسافر مع بولس في رحلة إلى الماضي البعيد، لا بل إلى أعماق نفسٍ تنكشف بخفاياها وسجاياها. ما يُكشَف هنا هي "أنا" تنسكب شفّافة رقراقة من دون زغل ولا زيف.

كيف كتب بولس ماضيه؟ وفي أيّ سياق؟ ولأيّ هدف؟ ماذا يبغي رسولٌ شيخ لا تفصله عن "الرحيل" (٢ تم ٤: ٦) سوى خطوات قليلة، من أن يستحضر ماضيًا بعيدًا وأن يُعيد فتح صفحةٍ من حياته طواها الزمن؟

سياق النصّ

بعد التحيّة المعتادة (١ تم ١: ١-٢)، يُودِعُ بولس تلميذَه تيموثاوس "وصيّة" مهمّة (آ ٣، ٥)، وهي أن يقوم بتحذير مؤمنيّ أفسس من بعض الذين يهوون المجادلات والنقاشات الفارغة حول الشريعة وغرضِها، فيُثيرون بذلك منازعات لا تخدم "تدبير الله الذي في الإيمان" (آ ٤)، ويقاومون "التعليم السليم" (آ ١٠) بتعليمهم "الآخر" (آ ٣). ثرثارو الشريعة هؤلاء كانوا يواجهون بولس أينما حلّ، ويعارضون تعليمه أينما بشّر، ويلاحقونه حتّى صاروا كظلّه، ويطعنون بـ"إنجيله" وبأصالة رسوليّته، مع أنّه لم يكن يأتي عملاً إلاّ "وفق" (κατα) الإنجيل (آ ١١)، و"عن قلب طاهر وضمير سليم وإيمان صادق" (آ ٥). لذا ما انفكّ بولس يذكّر دومًا بأنّ ما يبشّر به، إنّما هو إنجيل يسوع المسيح نفسه، "إنجيل مجد الله المغبوط" الذي،

(١) رج ٢ تم ١: ٣-٥، ١١-١٢؛ ٢: ٩؛ ٣: ١٠-١١؛ ٤: ٦-٨؛ ١٦-١٨.

وفي وقت محدّد من حياته(٢)، "ائتُمنَ عليه" على نحوٍ نهائيّ (آ ١١). وبما أنّه استذكر ذلك الوقت المحدّد، فلا بدّ من أن يشكر الربّ على تلك اللحظة المباركة على طريق دمشق التي غيّرت مصير حياته (أع ٩). تشكّل آ ١١ إذًا جسر عبور بين ما سبق وما سيأتي. لقد مهّدت كلمة "إنجيل" لما سيعترف به بولس لاحقًا. لعبارة "إنجيل" (ευαγγελιον) على بولس وقعٌ سحريّ. إنّها من الكلمات المفاتيح في لاهوته. ليس هنا فقط يدفعه الدفاع عن الإنجيل إلى استذكار بداياته، بل نجد الأمر نفسه يتكرّر في اعتراف غلاطية (غل ١: ١١-٢: ١٤). هناك أيضًا كان الإنجيل هو المحرّك للعودة إلى الماضي: "أعلمكم أيّها الإخوة بأنّ البشارة التي بُشِّرتُ بها ليست على سنّة البشر" (غل ١: ١١؛ رج ٢: ٥، ١٤).

وإذا كان بولس يعاكس بماضيه ثرثاري الشريعة، فتلميذه تيموثاوس يخالفهم كذلك، وبماضيه أيضًا. هذا ما نقرأه في الآيات التي تلي نصّنا: هو تلميذ جديد بأن يستودعه بولس وصيّته، كونه وفيًّا للنبوّات التي قيلت بحقّه، ويجاهد أحسن جهاد بإيمان وضمير سليم (آ ١٨-٢٠).

المشهد إذًا اتّضح: خصوم بولس يثرثرون ويتلهّون بالمجادلات والأنساب التي لا طائل فيها، وهو لا يتكلّم سوى على ماضيه الذي عمل فيه الربّ بقوّة، لا ماضيه فقط، بل يستذكر أيضًا ماضي تلميذه وما فيه من استعدادات حسنة.

النصّ(٣)

"١٢ أؤدّي شكرًا للذي قوّاني المسيح يسوع ربّنا،

لأنّه عدّني أمينًا إذ أقامني لخدمة، ١٣ أنا الذي كان من قبلُ مجدّفًا مضطّهِدًا عنيفًا، لكنّي رُحمتُ لأنّي كنتُ أفعل ذلك عن جهل، في عدم الإيمان،

١٤ وفاضت نعمة ربّنا مع الإيمان والمحبّة التي في المسيح يسوع.

---

١٥ صادق القول وجدير بكلّ قبول، أنّ المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلّص الخطأة، الذين أوّلهم أنا،

١٦ لكنّي لأجل ذلك رحمت، لكي يُظهر المسيح يسوع فيّ أوّلاً كلّ أناة، [فأكون] مثالاً للمزمعين أن يؤمنوا به في سبيل الحياة الأبديّة.

---

١٧ لملك الدهور الذي لا يفسد ولا يُرى الإله الواحد إكرامٌ ومجد إلى دهر الداهرين. آمين.

لا تخفى على القارئ النجيب أقسام النصّ، وذلك بسبب توازي الآيات والتعابير في ما بينها:

آ ١٢أ مقدّمة: الشكر للمسيح يسوع المقوّي

آ ١٢ب-١٤: الدافع الأوّل للشكر

- لأنّه عَدَّ بولس أمينًا، هو الذي كان من قبلُ مجدّفًا مضطّهِدًا عنيفًا (١٢ب-١٣أ)،

+ لكنّه رُحم، لأنّه فعل ما فعله عن جهل وفي عدم الإيمان، وفاضت عليه نعمة الربّ مع الإيمان والمحبّة التي في المسيح يسوع (١٣ب-١٤)

(٢) هذا ما يوحيه فعل "آمن"، في آ ١١، الذي أتى بصيغة الماضي البسيط (aoriste).

(٣) ترجمة شخصيّة أمينة قدر الإمكان للنصّ اليونانيّ.

آ ١٥-١٦: الدافع الثاني للشكر
- بولس أوّل الخطأة (١٥)
+ لكنّه رُحم، لأجل أن يُظهر المسيح يسوع فيه أوّلاً كلّ أناته، وليكون مثالاً للذين سيؤمنون (١٦)

آ ١٧ خاتمة: الإكرام والمجد لملك الدهور

إفتتاحيّة شُكر (آ ١٢أ)

تُعتبر هذه الآية كمقدّمة لما يلي، لأنّ رفع الشكر يشير في أماكن كثيرة إلى بداية مقطع جديد[٤]. "أؤدّي شكرًا" (χαριν εχω) عبارة مرادفة لفعل "أشكرُ" (ευχαριστω) الذي يستعمله بولس مرارًا[٥]، غير أنّها تتميّز عنه كونها تعبّر عن عاطفة شكر متواصلة وليست عابرة. وهي تأتي غالبًا، كما هنا، مع "لأن" (οτι)، لتحديد دافع الشكر[٦]. "خاريس" تعني أيضًا "نعمة"، وهي من أحبّ التعابير إلى قلب بولس[٧]. في نصّنا ترد أيضًا في آ ١٤، لتضفي على المعنى بُعدًا علائقيًّا: بولس يؤدّي "الشكر" للمسيح، الذي سبق وأفاض عليه "نعمته". إنّه تبادلٌ يليق بمؤمن حقيقيّ. الربّ يبادر دومًا بوهب العطيّة، والإنسان ما عليه إلاّ أن يؤدّي الشكر لله على كلّ ما يهبه إيّاه.

والشكر هنا يرفعه بولس نحو المسيح "الذي قوّاه" (ενδυναμωσαντι). الفعل "قوّى"[٨] (ενδυναμοω) هنا هو اسم فاعل بصيغة الماضي البسيط، الصيغة التي تشير إلى حدث معيّن من التاريخ. لبولس خبرة رائعة مع هذا الفعل، إذ يستعمله لمرّات ثلاث في سياق تذكارات شخصيّة، وفي سياق الحديث عن الثبات في التجارب والضيقات والشدائد[٩]. ندخل مع هذا الفعل حقلَ بولس الحميم: ها هي صورٌ كثيرة تتلاحق في ذهنه، وتقفز إلى ذاكرته خبرات كثيرة عاشها في وسط الصعاب والشدائد، وكيف أنّ الله قوّاه عليها وخلّصه منها كمِن فم الأسد: "لكنّ الربّ كان معي وقوّاني لتُعلَن البشارة عن يدي على أحسن وجه ويسمعها جميع الوثنيّين، فنجوت من شدق الأسد" (٢ تم ٤: ١٧). وفي فيلبّي نراه ينشد نشيدًا للمسيح الذي يقوّيه في العسر واليسر، في الشبع والجوع (في ٤: ١٣). الفاعل إذًا هو الله، إلاّ في مرّة واحدة حيث الفاعل هو بولس نفسه: "وكان شاول يتقوّى أكثر..." (أع ٩: ٢٢). بالنسبة إلى بولس، تتجلّى قوّة الله وتكمل في الضعف: فكلّما كان الرسول ضعيفًا كلّما كان قويًّا في الله (٢ كو ١٢: ٩).

دافع الشكر الأوّل (آ ١٢ب-١٤)

أ- لأنّه "عدّني أمينًا"

"لأنّه عدّني أمينًا"، أو "مؤمنًا". كلّها ترجمات ممكنة للنعت "بيستون" (πιστον). الجدير ذكره هنا أنّ كلمة "بيستيس" (πιστις) ومشتقّاتها تجتاح النصّ كلّه: بولس كان عائشًا في "عدم الإيمان" (εν απιστια، آ ١٣)، وفي لحظة محدّدة من الماضي[١٠]، جعله الله "مؤمنًا"، "أمينًا"، "جديرًا بالثقة" (πιστον، آ ١٢)، وأفاض عليه المحبّة مع "الإيمان" (πιστεως، آ ١٤)، لذلك فإنّ كلمته، أي بشارته، هي "أمينة" و"جديرة بالقبول" (πιστος، آ ١٥)، لأنّ الله سبق ورحمه بنعمته وجعله مثالاً للمزمعين أن "يؤمنوا" به (πιστευειν، آ ١٦).

(٤) رج رو ١: ٨؛ ١ كو ١: ٤؛ في ١: ٣؛ كول ١: ٣؛ ١ تس ١: ٢؛ ٢: ١٣؛ ٢ تس ١: ٣؛ ٢ تس ٢: ١٣؛ فل ٤؛ ٢ تم ١: ٣.
(٥) رج رو ١: ٨؛ ٧: ٢٥؛ ١كو ١: ٤، ١٤؛ ١٤: ١٨؛ إلخ.
(٦) رج رو ٦: ١٧؛ ٢ كو ٨: ١٦؛ ٩: ١٥؛ ٢ تم ١: ٣؛ عب ١٢: ٢٨.
(٧) ترد كلمة "خاريس" ١٠٠ مرّة في الرسائل البولسيّة، مقابل ٥٥ مرّة في باقي العهد الجديد.
(٨) يرد ٦ مرّات عند بولس من أصل ٨ في كلّ العهد الجديد.
(٩) هنا وفي في ٤: ١٣، و٢ تم ٤: ١٧.
(١٠) هنا أيضًا يأتي فعل "عدّني" (ηγησατο) في صيغة الماضي البسيط.

هنا أيضًا المبادرة تأتي من الله. لأنّ الله كلّيّ الرحمة، بادر إلى كشف ذاته لبولس وجعله يؤمن به: "أدلي برأيي كرجل جعلته رحمة الربّ أمينًا" (١كور ٧: ٢٥). الأمانة صفة أساسيّة يجب أن تتأمّن في شخص الرسول: "جلّ ما يُطلب من الوكيل أن يكون أمينًا" (١ كو ٤: ٢). سبق لبولس أن قال في النصّ السابق إنّه "ائتمن" (بصيغة المجهول επιστευθην) على البشارة، أي أنّ الله نفسه سلّمه وديعة الإنجيل (آ ١١)[١١].

جعل الله بولس مؤمنًا، لكن من أجل ماذا؟ "من أجل خدمة" (εις διακονιαν). التعبير هنا نكرة غير معرّف. في أماكن أخرى يتكلّم بولس عن "خدمتي" (رو ١١: ١٣؛ ١٥: ٣١)، وعن "خدمة الموت" (٢ كور ٣: ٧) التي تعاكس "خدمة الروح" (٢ كور ٣: ٨)، وعن "خدمة البرّ" التي تناقض "خدمة الدينونة" (٢ كو ٣: ٩). وفي مكان آخر، ينصّب نفسه سفيرًا "لخدمة المصالحة" (٢ كو ٥: ١٨). ومن المعلوم أنّ هذا التعبير يكون أحيانًا اصطلاحًا بمعنى خدمة الفقراء مع ما تقتضيه من خدمة الموائد وتوزيع الطعام ولمّ المساعدات المادّيّة[١٢]. لكن لماذا هنا هي غير معرّفة؟ لأنّ سياق النصّ يفرض ذلك. فبولس يشكر الله لأنّه أقامه على "خدمة" -لا تهمّ طبيعتها!- كان غير أهلٍ لها، هو الذي كان يُعمل في الكنيسة اضطّهادًا وعنفًا. أيًّا تكن هذه الخدمة، صغيرة أم كبيرة، متواضعة أم عظيمة، فهو كان غير مستحقٍّ لها. "خدمة" بولس هنا هي طبعًا مجمل بشارته، وعمله الذي ائتمنه الله عليه. طالما افتخر بولس بأنّه مجرّد خادم، "خادم الله" (٢ كور ٦: ٤)، و"خادم عهد جديد" (٢ كور ٣: ٦)، و"خادم الإنجيل" (أف ٣: ٧؛ كول ١: ٢٣)، و"خادم الكنيسة" (كول ١: ٢٥). رسوليّته إنّما هي خدمة وليست سلطة (٢ كور ٣: ٣؛ ٨: ١٩-٢٠)، كان دائمًا يعدّ نفسه "أصغر الرسل" (١ كور ١٥: ٩)، و"عبدًا" ليسوع المسيح (راجع عناوين رسائله).

ب- "أنا المجدّف والمضطهِد العنيف"

في آ ١٣-١٤ تتواصل دوافع الشكر. هناك دوافع أخرى توازي هذه الأوّلى وهي في آ ١٥-١٦. تعابير مترادفة تتقابل: اضطهاد، عنف، افتراء/خطيئة؛ وأخرى متشابهة تتكرّر: رُحمت/رُحمت، من قبلُ/أوّل، عدم الإيمان/سيؤمنون.

في آ ١٣، يستذكر بولس بتعابير قاسية مرحلة قاسية من حياته، كان فيها مضطَّهِدًا للكنيسة. في أمكنة أخرى من رسائله استذكر أيضًا هذه المرحلة[١٣]، غير أنّ هذه المرّة هي الأولى التي يطلق فيها على نفسه لقب "مجدّف" (βλασφημον)، مع أنّ التعبير هذا يرد في العهد الجديد خمس مرّات. في الرسالة الثانية إلى تيموثاوس، يُدرج بولس "المجدّفين" ضمن لائحة أصحاب الرذائل (٢ تم ٣: ٢)، الذين جابه كثرًا من أمثالهم أثناء تبشيره بين اليهود (أع ١٣: ٤٥؛ ١٨: ٦). لكنّ تجديفه الذي يتكلّم عليه الآن يجب أن يُقرأ مع ما اعترف به هو نفسه أمام الوالي فسطس، عندما قال: "وكثيرًا ما عذّبتُهم متنقّلاً من مجمع إلى مجمع لأحملهم على التجديف" (أع ٢٦: ١١). التجديف ليس فقط ألاّ يؤمن الإنسان بالله، بل أن يسير مسلكًا يناقض تمامًا إرادة الله، في أقواله كما في أعماله. إنّه نوع من الإقفال التامّ في وجه روح الله (مر ٣: ٢٩). التجديف الذي كان عليه بولس جعله في الضفّة الأخرى، حيث نعمة الله تنعدم، ضفّة العنف والقتل وعدم الإيمان بابن الله[١٤].

الصفة التي ترافق بولس أكثر من

(١١) رج أيضًا: ١ كو ٩: ١٧؛ غل ٢: ٧؛ ١ تس ٢: ٤؛ تي ١: ٣.
(١٢) رج رو ١٢: ٧: ١ كو ١٦: ١٥؛ ٢ كو ٨: ٤؛ ١١: ٨.
(١٣) رج أع ٢٢: ٣-٥؛ ٢٦: ٩-١٢؛ ١ كو ١٥: ٩؛ غل ١: ١٣-١٤، ٢٣؛ في ٣: ٦.
(١٤) بعد قليل سيتكلّم بولس على حالة همنايس والاسكندر اللّذين "أسلمهما إلى الشيطان ليتعلّما الكفّ عن التجديف" (١: ٢٠).

صفة التجديف، هي صفة "المضطَّهِد" (διωκτην، آ ١٣). يتحدّر هذا النعت من فعل "ذيوكو" (διωκω)، ويعني أصلاً "لحق بـ"، "تبع"، وتوسّعًا "لاحق"، "اضطَّهد". هو من أكثر الأفعال التي يستعملها بولس عندما يتكلّم على ماضيه العنيف[١٥]. كان عملُ شاول يقضي بملاحقة المسيحيّين من مدينة إلى أخرى والتنكيل بهم وجرّهم إلى السجون كي يحملهم على التجديف ونكران اسم المسيح. لهذا عندما حانت ساعة توبته على طريق دمشق، طنّت في أذنَيه كلمات يسوع: "شاول، شاول، لمَ تضطهدني؟" (أع ٩: ٤).

ليس هذا فقط، بل هو يعترف أيضًا أنّه كان "عنيفًا" في اضطّهاده (υβριστην، آ ١٣). يرد هذا اللفظ مرّتين فقط في العهد الجديد، والاثنتان عند بولس، هنا وفي رو ١: ٣٠، حيث يرد أيضًا ضمن لائحة أصحاب الرذائل، ويُترجم أحيانًا بـ"مفتر"، و"شتّام"، و"مهين"[١٦]. في الاعترافات الأخرى، استعمل بولس استعارات أخرى كي يصف العنف الذي كان عليه. ففي أع ٢٢: ٤ يقول: "اضطَّهدتُ تلك الطريقة حتّى الموت (θανατου αχρι)؛ وفي مكان آخر يستعمل كلمة "كثيرًا" (πολλα) ليصف مقاومته اسم يسوع الناصريّ (أع ٢٦: ٩)، وكلمة "بإفراط" (περισσως) ليصف سخطه الشديد على المسيحيّين (أع ٢٦: ١١). وفي غل ١: ١٣، اعترف بأنّه سعى إلى "تدمير" (فعل πορθεω) كنيسة الله، و"بلا رحمة" (υπερβολην). طبعًا لا ننسى هنا تعبيرًا طالما استعمله بولس في هكذا سياق، ويرتبط غالبًا بالفعل "ذيوكو"، وهو تعبير "زيلوس" (ζηλος) ومشتقّاته: "الغَيرة" على الدين، وهي الحميّة التي دفعته إلى أن يتّخذ موقفًا حاسمًا للدفاع عن مرتكزات الدين اليهوديّ[١٧].

الغَيرة أصلاً مكوِّنٌ أساسيّ في شخصيّة اليهوديّ (رو ١٠: ٢)، خصوصًا في عصر ما بعد الجلاء إلى بابل (سنة ٥٨٧ ق.م.)، وهي انعكاس لغَيرة الله نفسه، "الإله الغيور"[١٨]. والغَيرة تقضي بأن يحافظ المؤمن بكثير من الحماس على أسس الديانة اليهوديّة (عبادة الله الواحد، الشريعة، الهيكل، العهد...)، تلك التي تجعل من اليهود شعبًا مميَّزًا عن الشعوب المحيطة به. و"الغيور" لا يتوانى في استعمال القوّة والعنف إذا اقتضى الأمر ذلك، تمامًا كأبطال إسرائيل القدماء "الغَيارى"[١٩]. والقوّة لا تُستعمل ضدّ مَن هم في الخارج فحسب، بل إذا لزم الأمر ضدّ أبناء الدين الواحد. لهذا لم يكن أسلوب بولس العنيف ضدّ المسيحيّين، وبالتحديد ضدّ الهلّينيّين منهم، سوى وجهٍ من أوجه غَيرته على دينه. لماذا التركيز على المسيحيّين الهلّينيّين بالتحديد؟ لأنّ هؤلاء اليهود "الليبراليّون الجدد" هم "حدود" إسرائيل مع الخارج، وهم الأجدر في تصدير اليهوديّة إلى العالم الوثنيّ وتعريض أسس الديانة إلى الخطر، خطر الانفلاش والانفلات، فينتفي عندئذٍ تميُّز إسرائيل عن باقي الشعوب.

لكنّ مخطّط الله كان له كلمة أخرى: "كبح الله فيه هذه الحميّة الحمقاء، وأخذ يهدّئ أمواج هذه الثورة المتأجّجة"[٢٠]. فعندما ارتدّ بولس إلى المسيحيّة فَهِمَ أنّ دعوته الأساسيّة هي في أن يكون رسول الأمم،

(١٥) رج أع ٢٢: ٤؛ ٢٦: ١١؛ ١كو ١٥: ٩؛ غل ١: ١٣، ٢٣؛ في ٣: ٦.

(١٦) رج مت ٢٢: ٦؛ لو ١١: ٤٥.

(١٧) رج أع ٢٢: ٣؛ غل ١: ١٤؛ في ٣: ٦.

(١٨) رج مثلاً خر ٢٠: ٥؛ ٣٤: ١٤؛ تث ٤: ٢٤؛ ٥: ٩؛ ٦: ١٥.

(١٩) في تاريخ اليهوديّة هناك أبطال عديدون عُرفوا بغَيرتهم: شمعون ولاوي ابنا يعقوب (تك ٣٤: ٢٥-٣١)، فنحاس بن أليعازر (عد ٢٥: ٦-١٣؛ سي ٤٥: ٢٣)، إيليّا (١ مل ١٨؛ سي ٤٨: ٢؛ ١ مك ٢: ٥٨)، ياهو (٢ مل ١٠: ١٦)؛ إخوة يهوذا المكّابيّ (١ مك ٢).

(٢٠) يوحنّا الذهبيّ الفم، **تقاريظ القدّيس بولس**، العظة الرابعة، ٢.

وذلك لكي يُكمل ما منع هو نفسه من إكماله عندما اضطّهد المسيحيّين الهلّينيّين: "على طريق دمشق، اكتشف بولس خطأه الفادح، خطأ اضطّهاده المسيحيّين الهلّينيّين. وارتداده إنّما هو عودة إلى منطقهم هم: عليه أن يفعل ما كان الذين اضطّهدهم خطأً يفعلونه. عليه أن يُمسك الراية ويرفعها عاليًا، تلك التي سعى جاهدًا إلى أن ينتزعها من أيدي مواطنيه اليهود، وأن يشرّع الباب الذي حاول قبلاً أن يغلقه بنحو عنيف"(٢١). بعد حدث الشام إذًا، انتقل فعل "اضطّهد" من اسم الفاعل إلى اسم المفعول؛ فمن يهوديّ مضطّهِد، أمسى بولس مسيحيًّا "مضطَّهَدًا" (١ كو ٤: ١٢؛ ٢ كو ٤: ٩؛ غل ٥: ١١)، ومفترى عليه (أع ١٤: ٥؛ ١ تس ٢: ٢).

كلّ هذا حدث "من قبلُ" (προτερον، آ ١٣)(٢٢)، وكأنّ هذه المرحلة تنتمي إلى ماضٍ سحيق دفنه بولس في قبر وختم عليه بالحجر. بولس الآن في آخر أيّامه، وقد مضى وقت طويل على تلك المرحلة، ولم يبقَ منها إلاّ الذكرى والعبرة. كان يومها عائشًا في "عدم الإيمان"، وما عملَه، عملَه "عن جهل" (αγνοων، آ ١٣)، إذ لم يكن يدري ما يعمل، أو بأحسن حال كان يظنّه عملاً حسنًا. ذلك الإنسان هو "الإنسان القديم"، وقد تبدّل كلّيًّا بنعمة الله.

ج- "لكنّي رُحمتُ"

لكنّ بولس "رُحمَ" (آ ١٣). الرحمة الإلهيّة، الأمر لها. يأتي فعل "رحم" (ελεεω) هنا بالماضي البسيط وبصيغة المجهول. إنّه المجهول الإلهيّ، الذي تدخّل في وقت معيّن في حياة بولس على طريق دمشق وقلَبَها رأسًا على عقب. نجد تشابهًا مُلفتًا بين نصّنا وآخر في ١ كو ٧: ٢٥: "أدلي برأيي كمَن رُحم من الربّ [وذلك] بأن يكون أمينًا" (ως ηλεημενος υπο κυριου πιστος ειναι). موضوعان مشتركان: الرحمة والأمانة. القصّة إذًا قصّة رحمة إلهيّة وليست قصّة سعي وإرادة وجهد إنسانيّ محض (رو ٩: ١٦). إن نُصِّب بولس خادمًا، فليس لأجل استحقاقات شخصيّة أهّلته لهذا المنصب، بل برحمة من الله: "وأمّا وقد أُعطينا تلك الخدمة رحمة، فلا تفتر همّتنا" (٢ كو ٤: ١؛ رج أيضًا تي ٣: ٥). ما يكتبه بولس هنا إنّما هي تجربته الشخصيّة وليس مجرّد تنظير لاهوتيّ. لاهوته هو تاريخه، وتاريخه منسوج بخيوط رحمة الله الحرّة. الله كلّيّ الحرّيّة في أن يرحم من يشاء: "أرحم من أرحم وأرأف بمن أرأف" (رو ٩: ١٦؛ خر ٣٣: ١٩).

د- "وفاضت النعمة"

"الرحمة" وحدها لا تكفي لتصف مفهوم الخلاص عند بولس، فهناك أيضًا "النعمة" (χαρις)، وهي من أكثر التعابير في العهد الجديد بولسيّة. يقول في آ ١٤: "وفاضت نعمة ربّنا مع الإيمان والمحبّة التي في المسيح يسوع". الفعل اليونانيّ المركّب "إيبربليونازو" (υπερπλεοναζω) لا يرد إلاّ هنا، ويعني "فاض"، "تزايد كثيرًا". النعمة لم تكثر في بولس فحسب(٢٣)، بل فاضت، وفي الفيض غزارة ومجّانيّة. نعمة الله أحاديّة الجانب، لا ردّ عليها لأنها تُعطى بمجّانيّة خالصة. وإن ردّ الإنسان، فجوابه يكون شكرًا(٢٤). في العهد القديم نجد تعبيرَين هما في أصل

(٢١) James D. G. DUNN, *La teologia dell'apostolo Paolo*, Introduzione allo studio della Bibbia, Supplementi 5, Paideia, Brescia 1999 (pour la traduction italienne), p. 355.

(٢٢) أمر لافت في النصّ هو تكرار عبارات "من قبلُ" (προτερον)، و"أوّل" (πρωτος، آ ١٥)، و"أوّلاً" (πρωτω، آ ١٦)، وجميعها من جذر واحد.

(٢٣) الفعل البسيط "بليونازو" (πλεοναζω)، والذي يعني "كثُرَ"، يستعمله بولس ٨ مرّات (رو ٥: ٢٠؛ ٦: ١؛ ٢ كو ٤: ١٥، إلخ). أمّا الفعل المركّب فيشدّد أكثر على معنى الفيض مع عبارة υπερ. يحبّ بولس كثيرًا استعمال الأفعال المركّبة مع عبارة υπερ، وجميعها لا ترد إلاّ مرّة واحدة في العهد الجديد: υπερπερισσευειν (رو ٥: ٢٠؛ ٢ كو ٥: ٤)، υπεραυξανειν (٢ تس ١: ٣)، υπερβαινειν (١ تس ٤: ٦)، υπερεκτεινειν (٢ كو ١٠: ١٤)، υπερνικαν (رو ٨: ٣٧)، υπερεντυγχανειν (رو ٨: ٢٦)، υπερυψουν (في ٢: ٩).

(٢٤) في تلازُمِ الشكر مع النعمة رج: رو ٦: ١٧؛ ٧: ٢٥؛ ١ كو ١٥: ٥٧؛ ٢ كو ٢: ١٤؛ ٨: ١٦؛ ٩: ١٥، إلخ.

كلمة "خاريس": "حِسِد" (חסד) و"حِن" (חן). والاثنان يعبّران عن عطيّة توهَب من شخص أعلى إلى آخر أدنى(٢٥). وفي تطبيقهما على علاقة الله مع الإنسان (المعنى الدينيّ)، لا يفترضان التبادل، لأنّ الله يهب نعمته بمجّانيّة خالصة من دون أن ينتظر جوابًا من الإنسان(٢٦). بينما السبعينيّة تترجم "حِن" بـ"خاريس"، و"حِسِد" بـ"إيليوس" (ελεος)(٢٧)، يفضّل بولس استعمال كلمة "خاريس" على "إيليوس"(٢٨)، لأنّ قرّاءه اليونانيّين يفهمون جيّدًا معنى هذه الكلمة لكثرة استعمالها في ذلك الوقت. كانت تعني لهم: "نعمة"، و"حظوة"، و"معروف"، و"لطف"، و"جمال".

في الواقع إنّ لاهوت بولس حول النعمة يشكّل بناءً ضخمًا له ميزاته وتعابيره الخاصّة. فَلأنّ "خاريس" نعمة من الله مجّانيّة، نرى بولس يربطها غالبًا مع كلمة "عطيّة" (δωρεαν) أو فعل "أعطى" (διδωμι)(٢٩)؛ ولأنّها ديناميّة خلاص تغيّر وتبدّل الإنسان، وليست حالة فحسب، نرى بولس يربطها أيضًا مع تعابير مثل "قوّة" أو "روح"(٣٠)؛ ولأنّ الله وحده هو مصدرها، لا نراها تأتي في الجمع بل دائمًا في المفرد؛ ولأنّ الله، كما هنا، يُغدقها دائمًا بوفرة، نراها ملتصقة بأفعال تحمل كلّها معنى الفيض والكثرة والغنى(٣١). ولأنّ نعمة الله تكثر في الأغلب في البدايات، أي في اللحظة التي تجاوب فيها المؤمنون مع الإنجيل وآمنوا بيسوع المسيح، تأتي أغلب الأفعال الملتصقة بها في صيغة الماضي البسيط. هكذا تكون بداية المؤمن قرارًا حاسمًا وواعيًا يحتّم عليه تغييرًا في المسلك والعلاقات. وبما أنّ بدايات بولس كانت عنفيّة، لهذا نرى أنّه قليلاً ما يتذكّر تلك المرحلة من دون أن يلحقها فورًا بموضوع نعمة الله التي خلّصته من ماضيه المؤلم(٣٢). ففي ١ كو ١٥: ٩-١٠ يقول: "إنّي أصغر الرسل ولستُ أهلاً لأن أُدعى رسولاً، لأنّي اضطهدتُ كنيسة الله، **وبنعمة الله** ما أنا عليه، **ونعمته** عليّ لم تذهب سدى... وما أنا جهدتُ، بل **نعمة الله** التي هي معي". طالما ركّز بولس على مبادرة الله في الخلاص: "الله خلّصنا ودعانا دعوة مقدّسة، لا بالنظر إلى أعمالنا، بل وفقًا لسابق تدبيره والنعمة التي وهبت لنا في المسيح يسوع منذ الأزل" (٢ تم ١: ٩). لم يكن لبولس أن ينهض من كبوة العنف والاضطّهاد من دون هذه النعمة الإلهيّة، حتّى أمسى وليد النعمة، لا غيرها: "بنعمة الله أنا ما أنا" (ειμι ὁ ειμι). نعمة المسيح القائم من الموت هي التي بادرت وخلّصته، لا نعمة الشريعة وأعمالها وثرثراتها.

دافع الشكر الثاني (آ ١٥-١٦)

تتوازى الآيات ١٥-١٦ مع التي قبلها؛ فبدل الكلام على الاضطهاد والتجديف والعنف (آ ١٣)، يعترف بولس بأنّه أوّل الخطأة (آ ١٥)، غامزًا بذلك من قناة ماضيه العنيف. وفي

(٢٥) رج تك ٦: ٨؛ ١٨: ٣؛ ٣٩: ٢١؛ خر ٣: ٢١؛ إس ٢: ٩، ١٧، إلخ.
(٢٦) "حِسِد" بمعناها الدنيويّ تفرض أحيانًا تبادلَ المعروف. رج مثلاً تك ٢١: ٢٣؛ يش ٢: ١٢، ١٤؛ ٢ صم ٢: ٥.
(٢٧) ما عدا في إس ٢: ٩، ١٧، حيث "حِسِد" مترجمة بـ"خاريس".
(٢٨) ترد "إيليوس" ١١ مرّة فقط في الرسائل البولسيّة.
(٢٩) راجع رو ٣: ٢٤؛ ٥: ١٥، ١٧؛ ٢ كور ٩: ١٥؛ غل ٢: ٢١؛ أف ٣: ٧، ٨؛ ٤: ٧؛ "النعمة المعطاة" في رو ١٢: ٣، ٦؛ ١٥: ١٥؛ ١ كو ١: ٤؛ ٣: ١٠؛ غل ٢: ٩؛ أف ٣: ٧؛ ٢ تم ١: ٩.
(٣٠) مثلاً ٢ كو ١٢: ٩؛ أف ٣: ٧.
(٣١) أفعال مثل περισσευω (رو ٥: ١٥، ١٧؛ ٢ كو ٤: ١٥؛ ٨: ٧؛ ٩: ٨)، وπλεοναζω (رو ٥: ٢٠؛ ٦: ١؛ ٢ كو ٤: ١٥)، وυπερβαλλω (٢ كو ٩: ١٤؛ أف ٢: ٧)، وتعبير πλουτος (٢ كو ٨: ٩؛ أف ١: ٧؛ ٢: ٧؛ كول ٣: ١٦؛ أف ٣: ٨).
(٣٢) لا يستعمل بولس مفهوم التوبة بتعابيره الكلاسيكيّة للكلام على تغيير المسلك إلاّ لمامًا: ثلاث مرّات مع فعل επιστρεφω (٢ كو ٣: ١٦؛ غل ٤: ٩؛ ١ تس ١: ٩)، ومرّة واحدة مع كلمة μετανοια (رو ٢: ٤) ومرّتين مع كلمة αφεσις (رو ٤: ٧ مستشهدًا بالمزمور ٣٢: ١؛ كول ١: ١٤). فهو يفضّل استعمال تعابير الإيمان والنعمة.

الجهتَين، يتكرّر الفضل للرحمة الإلهيّة التي جعلت من بولس مثالاً للذين سيؤمنون، بدل أن يكون في ضفّة عدم الايمان (آ ١٤ و١٦).

أ- "ليخلّص الخطأة وأنا أوّلهم"

يبدأ هذا القسم بعبارة خاصّة بالرسائل الرعائيّة: "صادق القول وجدير بكلّ قبول"[٣٣]، وهي عبارة تمهيديّة تشبه تلك التي ردّدها يسوع مرارًا: "الحقّ الحقّ أقول لكم"، وهدفها أن تعطي وزنًا لما سيقال. وما يقال هنا هو التعليم "الرسميّ"– إذا صحّ التعبير – أي "كلام الايمان والتعليم الحسن" (١ تم ٤: ٦)، و"الأقوال السليمة أقوال يسوع المسيح" (٦: ٣)[٣٤]. أن ينادي بولس بهذا التعليم، فهذا يضعه في خانة مضادّة مع الذين يعلّمون "تعليمًا آخر" (١: ٣)، الذين سبق وأوصى تيموثاوس أن يحذر منهم.

غير أنّ ما يقوله بولس ليس أبدًا تعليمًا تنظيريًّا بل شهادة حيّة، شهادة تصدر عن إنسان اختبر ما يقول. نعمة الخلاص التي يتكلّم عليها كان هو بالذات "أوّل" من اختبرها في حياته: "المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلّص الخطأة الذين أوّلهم أنا" (آ ١٥). هذا هو التعليم الصحيح، وهو كلاسيكيّ بامتياز. أوّلاً، لأنّه يحدِّد يسوع المسيح على أنّه "الآتي" المنتظَر[٣٥]، أي أزليّة وجوده؛ وثانيًا، لأنّه يحدّد غاية مجيئه إلى العالم، وهي خلاص الخطأة[٣٦]. لاهوتان عابران للعهد الجديد. ووجودهما هنا على لسان بولس، قد يشيران إلى أنّ الرسول يستشهد هنا بترنيمة معروفة ومنتشرة جدًّا بين الكنائس، خاصّة تلك المتأثّرة بلاهوت يوحنّا، كما تشير إلى ذلك الإحصاءات أدناه[٣٧]. في أكثر من مكان تشدِّد الرسائل الرعائيّة على البُعد الخلاصيّ السوتريولوجيّ لمجيء المسيح إلى العالم (١ تم ٢: ٦؛ تي ٢: ١٤).

ولكن ما يميّز نصّنا هنا هو البعد الشخصيّ للخلاص: "الخطأة الذين أوّلهم أنا". في الكنيسة الأولى، وقبل أن يهتدي بولس إلى الايمان، لم يكن بعدُ قد مرّ في سماء الكنيسة خاطئ بحجمه، "خاطئ مخلّص"، على حسب تعبير توما الأكويني. إذًا هو "الأوّل زمنيًّا ونمطيًّا"[٣٨]. وإذا كان "أوّل" الخاطئين، فهو بالتالي "أوّل" المخلَّصين. نقول هذا لأنّ كثيرين يسجّلون على بولس كلامه الدائم على الخطيئة وعلى كونه خاطئًا. في هذه الملاحظة شيء من الحقيقة، لكن ينقصها أمر جوهريّ كي لا تُرمى في سلّة الملاحظات الخاطئة: بولس إنسانٌ خاطئ، نعم، لكنّه خاطئ مبرَّر بنعمة الربّ: "حيث كثرت الخطيئة فاضت النعمة" (رو ٥: ٢٠). لم يتكلّم على الخطيئة كخاطئ بل كمبرَّر، ولا لأجل الخطيئة بل ليُظهر عملَ النعمة، فيه أوّلاً وفي كلّ مَن يؤمن. فبدل أن يكون كلامُه نعيةً في الخطيئة، أمسى على العكس نشيدًا في رحمة الربّ ونعمته.

ب- من جديد "لكنّي رُحمت"

بولس بكلّ أبعاده هو وليد النعمة، النعمة التي تخلّص. لذلك نراه يُعيد من جديد ويذكّر بلا ملل بأنّه "رُحم"، جاعلاً من آ ١٦ في توازٍ جميل مع آ ١٣ب. والرحمة التي نالها بولس لها

(٣٣) πιστος ο λογος، رج ١ تم ٣: ١؛ ٤: ٩؛ ٢ تم ٢: ١١؛ تي ٣: ٨. أمّا αποδοχη، ومعناها "قبول" و"تصديق"، فلا ترد في الكتاب المقدّس إلاّ هنا وفي ١ تم ٤: ٩ (هناك عبارة مشابهة في أع ٢: ٤١).

(٣٤) يتكرّر في الرسائل الرعائيّة هذا التشديد على صحّة التعليم. راجع أيضًا ٢تيم ١: ١٣؛ ٢: ١٥؛ ٤: ٢؛ تي ١: ٣، ٩؛ ٢: ١، ٧.

(٣٥) رج مت ١١: ٣؛ ١٨: ١١؛ ٢١: ٩؛ يو ١: ٩، ١١؛ ٣: ٢، ١٩، ٣١؛ ٥: ٤٣؛ ٦: ١٤؛ ١٠: ١٠؛ ١٢: ١٣، ٤٧، ١٤: ٢٨؛ ١٨: ٣٧؛ عب ١٠: ٣٧؛ ١يو ٤: ٢، إلخ.

(٣٦) رج مت ١: ٢١؛ ١٨: ١١؛ مر ١٠: ٤٥؛ لو ٩: ١٠؛ يو ٣: ١٧؛ ١٢: ٤٧، إلخ.

(٣٧) C. SPICQ, *Saint Paul. Les épîtres pastorales*, études bibliques, Gabalda, Paris 1947, p. 42.

(٣٨) رج بولس الفغالي، **الرسالة الأولى إلى تيموثاوس**، الرابطة الكتابيّة، بيروت ٢٠٠٠، ص ٥١.

هنا هدف، وهدفها لا ينحصر في البُعد الشخصيّ الذي يطال شخص بولس فقط، بل يتعدّاه ليخصّ الجماعة الكنسيّة ككلّ: رُحم بولس ليكون (ινα) مَثَلاً (υποτυπωσις) للمزمعين أن يؤمنوا. أصبح بولس قدوة لأنّ الله أراد من خلاله أن يبيّن للمؤمنين وسع أناته على كلّ خاطئ. لهذا يستعمل بولس فعل "إنديكنيمي" (ενδεικνυμι) ليصف عمل يسوع: لكي "يُظهر" و"يبيّن" و"يبرهن" طول أناته فيه (قارن مع رو ٩: ١٧)[٣٩]. القصّة إذًا قصّة برهان. كيف؟ إذا رحم الله بولسَ، أوّل الخاطئين تاريخًا وخطرًا، فكيف لا يرحم مَن هم دونه خطيئة؟ رحمة الله تشمل إذًا الجميع. لنقرأ هنا ما كتبه القدّيس يوحنّا فم الذهب حول هذا الموضوع: "تمثّلوا مدينة تعجّ بالسكّان، مؤلّفة فقط من أناسٍ أردياء، الواحد أردأ من الآخر، وجميعهم يستحقّون الدينونة والحكم. غير أنّ واحدًا منهم استحقّ أقسى عقاب، لأنّه تجاوز حدود الشرّ. فإنْ جاء إعلانٌ يقول إنّ الملك يريد أن يسامح الجميع، لا يصدّقون حتّى ينالَ المجرمُ الأكبر غفرانه. عندئذٍ لا يعودون يشكّون. هذا ما يقوله لنا بولس... حين نلتُ الغفران لي، لا يُسمح للآخرين أن يخافوا... وحين سامح الربّ ذاك، دلّ على أنّه لا يُعاقب الآخرين"[٤٠].

ورحمة الله تنبع من طول أناته. وطول الأناة (μακροθυμια) صفة من صفات الله المحبّبة في العهدَين القديم والجديد[٤١]. وهي تعبّر عن "طول نفَسِه"[٤٢] في تعامله مع الخاطئين، أي بطأ غضبه عليهم، ومع كلّ ما يغيظه. يطلقها بولس هنا على المسيح لا على الله[٤٣]، لأنّه طالما اعتبر أنّ ما فعله في الماضي كان يمسّ بالأخصّ المسيح وجسدَه الذي هو الكنيسة: "شاول، شاول، لماذا تضطّهدني؟" (أع ٩: ٤). "الضحيّة تغفر بدل أن تطلق العنان لغضبها"[٤٤]، وهذا برهان على صبر المسيح اللاّمحدود، لأنّ "المحبّة نفسها تصبر" (١ كور ١٣: ٤).

خاتمة تمجيد (آ ١٧)

كما الشكر في البداية (آ ١٢)، كذلك التمجيد في الختام (آ ١٧). صلاة بولس تكتمل: شكر وتمجيد. سفرة إلى لماضي كهذه، شخصيّة إلى أبعد الحدود، يليق بها أن تُختم بصلاة تمجيد، كما يروق لبولس أن يفعل مرارًا لا سيّما في الرسائل الرعائيّة[٤٥]. في العهد الجديد كلّه، ما عدا مت ٥: ٣٥ ورؤ ١٥: ٣، لا يُطلَق لقب "الملك" على الله إلاّ في الرسائل الرعائيّة: هنا "ملك الدهور"، وفي ٦: ١٥ "ملك الملوك". الله ملكٌ أبديّ، يملك على جميع الأجيال والدهور (رج مز ١٤٥: ١٣). هو يناقض تمامًا الأمبراطور الرومانيّ، نيرون الذي كُتبت الرسالة على أيّامه وغيره من الذين ألّهتهم الثقافة الرومانيّة وملّكتهم على الكون كلّه (*Imperator mundi*). الله يفوقهم في كلّ شيء بما لا قياس له. فهو "غير فاسد" (αφθαρτος)[٤٦]، أي لا يموت، و"وحده لا يموت" (٦: ١٦)،

(٣٩) فعل ενδεικνυμι ومشتقّاته ενδειγμα وενδειξις بولسيّة بامتياز. ما عدا عب ٦: ١٠، ١١، التي تدور هي أيضًا في فلك بولس، فإنّ جميع استعمالاتها ترد فقط عند بولس. رج مثلاً: رو ٩: ١٧، ٢٢؛ ٢ كو ٨: ٢٤؛ أف ٢: ٧.

(٤٠) نقلاً عن بولس الفغالي، **الرسالة الأولى إلى تيموتاوس**، ص ٥٢.

(٤١) رج خر ٣٤: ٦؛ عد ١٤: ١٨؛ مز ٨٦: ١٥؛ ١٤٥: ٨؛ يون ٤: ٢؛ رو ٢: ٤؛ ٩: ٢٢؛ ١ بط ٣: ٢٠؛ ٢ بط ٣: ٩.

(٤٢) هذا ما توحيه العبارة في العبريّة "إرخ أبّيم" (ארך אפים).

(٤٣) لا يُطلق هذا اللّقب على المسيح إلاّ هنا وفي ٢ بط ٣: ١٥. أمّا الباقي فعلى الله (راجع الملاحظة أعلاه رقم ٤١).

(٤٤) C. SPICQ, *Saint Paul. Les épîtres pastorales*, p. 43.

(٤٥) رج رو ١١: ٣٦، ١٦: ٢٧؛ غل ١: ٥؛ في ٤: ٢٠؛ أف ٣: ٢-٢١؛ ١ تم ٢: ٥-٦؛ ٣: ١٦؛ ٦: ١٥-١٦؛ ٢ تم ٢: ١١-١٣؛ ٤: ١٨.

(٤٦) هذا اللّقب انحصر استعماله في الكتاب المقدّس بثلاثة: سفر الحكمة (حك ١٢: ١؛ ١٨: ٤)، رسائل بولس (رو ١: ٢٣؛ ١ كو ٩: ٢٥؛ ١٥: ٥٢)، ورسالة بطرس الأولى (١ بط ١: ٤، ٢٣؛ ٣: ٤).

أيضًا في تناقض تامّ مع الأباطرة الرومان الذين ادّعوا الخلود (*æternitas imperii*). لهذا الله وحده، لا لغيره، يليق المجد والإكرام. وعلى الطريقة العبريّة، يختم بولس بـ"آمين"، خاتمة–ختم تبنّتها واسعًا الليتورجيّة المسيحيّة[٤٧].

خاتمــــة

في الكنيســة أشخــاص قــلائل يحملــون تــاريـخهم على راحــاتهم ويمشون. بولس كان من طينة هؤلاء. كان الأوّل، في الطليعة، والسبّاق، ومن بعده كثيرون لحقوا به. فإذا تكلّم هؤلاء، فإنّما يتكلّمون عمّا هم عليه، وعمّا كانوا، وعمّا صنعت بهم رحمة الربّ ونعمته. لاهوتهم مستلّ من تاريخهم، لأنّهم يقاربون كلّ المواضيع من زاوية تجربتهم الشخصيّة. هذه هي خبرة بولس مع مفاهيم عديدة: مع مفهوم الخلاص والنعمة واليهود والأمم... ومع يسوع المسيح نفسه: "لاهوت بولس لم يولد من رحم تمرين عقليّ (...) جوهر لاهوت بولس هو اختباره المباشر لنعمة الربّ"[٤٨]. لم يشدّد في إنجيله على قيامة المسيح إلاّ لأنّه اختبرها هو أوّلاً. وبالقوّة نفسها لم يستفض في الحديث على الخطيئة إلاّ لأنّه "أوّل الخاطئين". ولم يكن ليستلذّ في الحديث على رحمة الربّ المجّانيّة لو لم يُرحَم هو بمجّانيّة خالصة. لهذا لا يملّ حتّى آخر حياته من التغنّي بمراحم الربّ ومن رفع الشكران إليه والتمجيد.

ربَّ قائلٍ يعترض: هذا الاعتراف في ١ تم ١: ١٢–١٧ ليس لبولس نفسه، بل لأحد تلاميذه، أو لمدرسته اللاّحقة، وقد كُتب بعد مماته بعشرات السنين. إنّ هذا الاعتراض لدليل إضافيّ على ما قيل: لقد حفظَ التقليد اللاّحق، أتلميذًا منفردًا كان أم تيّارًا كاملاً، صورةً لا تُمحّى عن بولس: ذلك الرجل العنيف الذي رحمه يسوع، والذي من أجل ذلك ما انفكّ، حتّى آخر رمقٍ من حياته، يشكره على نعمة الإيمان والخلاص. لم تخجل مدرسة بولس بما كان معلّمُها عليه، بل نراها تفتخر بما صنع فيه الربّ، وتنصّبه "مثالاً" لها ولكلّ الذين سيؤمنون بيسوع المسيح.

(٤٧) رج: ١ كو ١٤: ١٦؛ غل ١: ٥؛ ١ تم ٦: ١٦؛ عب ١٣: ٢١؛ ١ بط ٤: ١١؛ ٥: ١١؛ رؤ ٧: ١٢، إلخ.

(٤٨) James D. G. DUNN, *La teologia dell'apostolo Paolo*, p. 194.